الاقلية . فهذه الاقلية قد ولدت بين ليلة وضحاها (جديدة) وكانت لغاية ١٩٤٨ هي الاكثرية المطلقة في البلاد ، وهذه الاقلية مرتبطة عنصرا ولغة وعادات وشعورا بأغلبية ساحقة من العرب الذين يحيطون باسرائيل ويمتدون من المحيط الى الخليج، والتي لا تزال اسرائيل معها في حالة صراع وعداء. اضف الى ذلك الجزء الاعظم من تلك الاقلية — الشعب الفلسطيني — الذي هو الضحية الاولى لاسرائيل ، والذي لا تزال اثاره تملأ البلاد . عامل آخر يميز هذه الاقلية هو كونها اقلية مبتورة ، نخبتها المثقفة والسياسية طردت من البلاد عام ١٩٤٨ ، وهي تعيش في الريف منذ حرب ١٩٤٨ بلا قيادة ثقافية وسياسية في المدن كحيفا ويافا ومقطوعة العلاقات بمواصم البلدان العربية حيث كانت تشكل لهم سابقا معينا ثقافيا كبيرا . هذا السبب بالذات يجعل هذه الاقلية نهبا مقسما لجميع أحزاب الدولة المتزعمين فيها ، وعندما قامت طليعة من الشباب القومي (الارض) لارجاع الاوضاع الى اصولها ، وتجميع تلك الاقلية على أساس قومي ، وشهرها في بوتقة وطنية واحدة لتستطيع الوقوف بنجاح امام تحديات السلطات الاسرائيلية، واجهت قوى عاتية يطمع كل منها في الابقاء على غنيمته وكل منها اقوى من الاخر ، وهي الاحزاب الصهيونية والاحزاب غير الصهيونية (الشيوعية) والزعامة العميلة للسلطات . من جهة اخرى ، العرب الفلسطينيون هم جزء من الامة العربية. وهذا الشعور ازداد حرارة وكثافة مع امتداد الحركة القومية العربية التي جعلت من القضية الفلسطينية احدى قضايا الامة المصيرية الملحة ومحور السياسات العربية في العالم ، واحدى اهم لوحات المسرح السياسي العربي في ربع القرن الاخير . بينما يجب الا نغفل في الجانب الاخر ، الى جانب الموازين السياسية ، الاشياء السلبية التي كانت تعمل في الاتجاه الاخر ففي كثير من الاحيان كانت الاقلية العربية في اسرائيل تسمع ان الفلسطينيين لا يعاملون معاملة حسنة في كثير من الامكنة حيث حلوا بها لاجئين . كما كانت لقاءات الشباب العربي في اسرائيل مع عرب الخارج تقابل بالبرود واحيانا بالشك . ومن السلبية الاولى نستطيع ان نفهم سبب هذا الاحتفال الداخلي بحركة المقاومة الفلسطينية اول ما ظهرت بشائرها عام ١٩٦٥ . لقد اعتقدوا صادقين ان الشعب الفلسطيني الان قد وضع في الاطار الصحيح من الصورة : طليعة للامة العربية في التحرير . واما السلبية الثانية ، فلقد كان ما يبررها الى حد ما عند العرب الاخرين، فالخوف من هذا الاتصال كان يقوم على شقين : أ) اذا كان العربي مسؤولا فقد كان يخاف من أن يكون العربي من اسرائيل مدسوسا عليه . ب) واذا كان انسانا عاديا كان يخاف من سلطات بلاده بان تتهمه بأن له علاقة مع عربي قد يكون جاسوسا لاسرائيل . على أنه بين هذا وذاك كان التحرف يتضمن كثيرا من التزمت والسخف . فلم يسمع قط عن عربي في اسرائيل — بقطع النظر عن بعض العملاء في الداخل — انه دخل الى البلاد العربية بقصد التجسس على العرب ، بينما بالعكس ، القي القبض على جواسيس من البلاد العربية يعملون لصالح اسرائيل والقي القبض على مئات من الشباب من اسرائيل بتهمة مساعدة الدول العربية .

ان كون هذه الاقلية اقلية ريفية ، تجعل العرب في اسرائيل في صداقة حميمة مع الارض يرجع تاريخها الى تاريخ وجودهم عليها . وفي المجتمعات الريفية تكون ملكية الارض هي المجسدة للسلطة والامن (سلطة العائلة وامنها) . فالانسان الذي يحوز على ثروة نقدية في الريف يدخرها في شراء الاراضي وبشكل مشابه فان بيع الارض في الريف يجسد الفقر وضياع الهيبة والاحترام . وحتى العائلات التي توقفت عن العمل بالزراعة نتيجة لمصادرة الحكومة لاملاكها ، لم تترك منطقة تأثير التقاليد القروية العريقة ، وكلما ازدادت ثقافة الشاب العربي كلما عبر عن تذلله وتعلق وحب اكثر بالارض . هذا الارتباط الفردي او العائلي بين العرب في «اسرائيل» وبين الارض انتقل في حالات كثيرة الى ارتباط جماعي . فالتمسك بالارض ، التي هي ثروة وطنية عربية ، قلب حقيقة بقائهم في فلسطين ، بالرغم من حرب ١٩٤٨ ، من ارتباط وتمسك فردي عادي الى غاية قومية مقدسة .

في الادب العربي في اسرائيل خلال العشرين سنة الماضية ، كانت هنالك رموز قوية لمدى ارتباط الارض والزرع بالوطن . فالشجرة في الشعر رمز لغارس هرب وتركها وراءه ، يعيش في المنافي على أمل العودة الى ظلالها ، او لانسان مات وهو يدافع عنها ، او لانسان ما زال يعيش قريبا منها ولكن يراها مسبية مسحوبة من جدائلها تحت نعال المحتل ، والصخرة في الحقل كعبة مقدسة لان ثائرا ما صلى عليها . وحرب ١٩٤٨ هي التي